المركز الماركسي - اللينيني للدراسات و الأبحاث و التكوين

الثامن عشر من برومير لويس بونابرت

مكتبة النجمة الحمراء

بالحراب فينبغي الا ننسى ان الحراب ايضا – الموجهة ضد الشعب – قد حمت هذا الدستور وهو في رحم امه وان الحراب ساعدته على رؤية النور ان اجداد «الجمهوريين الموقرين» قد مروا باوروبا كلها حاملين رمز الدستور ، اي العلم المثلث الالوان (٦٨) . ولكن «الجمهوريين الموقرين» بدورهم قد اخترعوا اختراعا وجد بنفسه طريقه في جميع انحاء القارة ولكنه كان يعود الى فرنسا يحدوه حب لا يخمد ابداً بحيث اكتسب هذا الاختراع الجنسية الآن في نصف محافظاتها ان هذا الاختراع هو **حالة الحصار** وانه لاختراع مدهش يستخدم بصورة دورية في كل من الازمات التي تتعاقب الواحدة تلو الاخرى في منجرى الثورة الفرنسية ولكن الثكنة والمعسكر اللذين كانا ينيخان على هذا النحو بصورة دورية على المجتمع الفرنسي لكي يقمعا وعيه ويسكتاه ؛ والسيف والبندقية اللذين كان يسمح لهما بصورة دورية بان يؤديا دور القضاة والمديرين والاوصياء والمراقبين وان يقوما بعمل الشرطي وبوظيفة الحارس الليلي ؛ والشارب والبزة العسكرية اللذين كان ينادى بهما بصورة دورية كاسمى حكمة في المجتمع وكمرشد له – الم يكن محتما لهذه الثكنة والمعسكر والسيف والبندقية والشارب والبزة العسكرية ان تخطر لها بالاحرى فكرة انقاذ المجتمع مرة واحدة والى الابد باعلان حكمها هي اعلى الاحكام وتحرير المجتمع البرجوازي بصورة تامة من مشقة الادارة الذاتية! بلى ان الثكنة والمعسكر والسيف والبندقية والشارب والبزة العسكرية كان محتوما ان تخطر لها هذه الفكرة خصوصا وانه كان بمستطاعها في هذه الحال ان تنتظر اجوراً نقدية اسخى على خدماتها الاسنى في حين انها لم تكن تتبلغ من مجرد حالة الحصار الدورية ومن عمليات انقاذ المجتمع العابرة تقوم بها بناء على

امر هذه الكتلة البرجوازية او تلك ، إلا ببلسغ ضئيلة ، فيما عدا بعض القتلى والجرحى وبعض التجهـــم الودي يلوح على وجوه البرجوازيين . ولماذا لا يحاول العسكريون اخيراً ان يلعبوا لعبة حالة الحصار لمصلحتهم الخاصة ولمنفعتهم الخاصة وان يحاصروا في الوقت ذاته جيوب البرجوازيين ؟ وفضلا عن هذا لا يجوز ان ننسى ، على سبيل الملاحظة العابرة ، ان العقيد برفار ، رئيس المجالس العسكرية نفسه الذي أبعد في عهد كافينياك خمسة عشر الفا من المتمردين دون محاكمة ، هو في هذه اللحظة وللمرة الثانية على رأس المجالس العسكرية العاملة في باريس

واذا كان الجمهوريون الصرف ، والموقرون» ، باعلانهم حالة الحصار في باريس ، قد غرسوا المستنبت الذي نما فيه فيما بعد بريتوريو الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ (٦٩) ، فلا بدّ من الاعتراف ايضا بانهم يقومون بمأثرة من نوع آخر : فبدلا من تسعير المشاعر القومية ، كما فعلوا ذلك في عهد لويس فيليب ، عمدوا الآن ، وهم يقبضون على كامل قوة الامة ، الى الحبو امام الاقطار الاجنبية ، وبدلا من ان يحرروا ايطاليا تركوها للنمساويين والنابوليين (٧٠) يستعبدونها من جديد . ان انتخاب لويس بونابرت رئيسا للجمهورية في اليوم العاشر من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٤٨ قد وضع حداً لديكتاتورية كافينياك وللجمعية التاسيسية

تقول المادة الرابعة والاربعون من الدستور «لا يجوز ان يكون رئيس الجمهورية الفرنسية شخص فقد يوماً ما صفته كمواطن فرنسي» ان الرئيس الاول للجمهورية الفرنسية لويس نابوليون بونابرت لم يكن قد فقد صفته كمواطن فرنسي فحسب ،

ولم يكن شرطياً خاصاً من الشرطة الانجليزية فحسب بل كان متجنساً بالجنسية السويسرية ايضاً (٧١)

لقد حت مفصلا في غير هذا المكان مغـــزى انتخـــاب العاشر من كانون الاول (ديسمبر) * ولن اعود اليه هنا ويكفي ان اشير هنا الى انه كان رد فعل من الفلاحين ، الذين ترتب عليهم ان يدفعوا نفقات ثورة شباط (فبراير) ، ضد الطبقات الباقية من الامة – رد فعل من الريف ضد المدينة . وقد صادف عطفـــاً كبيراً في الجيش الذي لم يقدم له جمهوريو "National" لا مجداً ولا زيادة في الرواتب ، ولدى البرجوازية الكبيرة التي حيت بونابرت باعتباره جسراً الى الملكية ولدى البروليتاريـــا والبرجوازيين الصغار الذين حيوه باعتباره سوط عقاب لكافينياك . ولسوف تتاح لي فيما بعد فرصة الخوض بصورة اكثر تدقيقا في موقف الفلاحين من الثورة الفرنسية .

ان الفترة من العشرين من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٤٨ لغاية حل الجمعية التاسيسية في شهر ايار (مايو) ١٨٤٩ تشتمل على تاريخ سقوط الجمهوريين البرجوازيين فبعد ان اسس هؤلاء جمهورية للبرجوازية وطردوا البروليتاريـــا الثورية من الميدان واسكتوا البرجوازية الصغيرة الديموقراطية لفترة من الزمن ، طُرحوا هم انفسهم جانباً من قبل جمهرة البرجوازية التي استولت على هذه الجمهورية عن حق باعتبارها ملكاً لها . بيد ان هذه الجمهرة البرجوازية كانت ملكية . كان قسم منها ، وهو كبار مالكي الارض ، يحكم زمن العودة فكان بناء على ذلك شرعيا والقسم الآخر ،

---

* راجع له ماركس «النضال الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ الى ١٨٥٠» . الناشر .

وهو اقطاب المال ورجال الصناعة الكبار ، كان يحكم اثناء ملكية تموز (يوليو) وكان بالتالي اوروليانيا (٧٢) اما اصحاب المقامات العليا في الجيش وفي الجامعة والكنيسة ونقابة المحامين والاكاديمية والصحافة ، فكنا نجدهم موزعين بين كلا الجانبين وان بنسب مختلفة . وهنا ، في الجمهورية البرجوازية ، التي لم تكن تحمل لا اسم بوربون ولا اسم اورليان بل اسم رأس المال ، وجد هذان القسمان من البرجوازية شكل الدولة الذي استطاعا ان يسيطرا فيه سوياً . ان تمرد حزيران (يونيو) كان قد وحدهما في «حزب النظام» (٧٣) واليوم آن الاوان لاقصاء زمرة الجمهوريين البرجوازيين الذين كانوا ما يزالون يحتلون مواقعهم في الجمعية الوطنية . وبقدر ما كان هؤلاء الجمهوريون الصرف متوحشين في سوء استخدامهم للقوة البدنية ضد الشعب ، بقدر ما كانوا جبناء ومتهافتين وخائرين ومتخاذلين وعاجزين عن القتال في تقهقرهم ، عندما كان الامر يتطلب الذود عن نزعتهم الجمهورية وحقوقهم التشريعية ضد السلطة التنفيذية وضد الملكيين . ولست في حاجة لان اروي هنا تاريخ انحلالهم المعيب انهم لم يهلكوا بل انهم زالوا من الوجود لقد ادوا دورهم الى الابد . وسواء في داخل الجمعية او في خارجها كانوا يظهرون في الفترة التالية كاشباح الماضي فحسب ، اشباح كان يبدو انها تنبعث ثانية كلما كان الامر يتناول مجرد اسم الجمهورية مرة اخرى ، وكلما كان النزاع الثوري يهدد بالهبوط الى المستوى الادنى . واشير هنا بصورة عابرة الى ان صحيفة "National" التي اعطت اسمها لهذا الحزب ، انحازت الى الاشتراكية في الفترة التالية .

وقبل ان نفرغ من هذه الفترة لا بد لنا ان نلقي نظرة الى الوراء على القوتين اللتين ابادت احداهما الاخرى في ٢ كانون الاول

(ديسمبر) سنة ١٨٥١ ، بينما كانتا تعيشان متزاوجتين من ٢٠ كانـــون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ حتى تواري الجمعيـــة التاسيسية ونحن نعني بهما لويس بونابرت من جهة وحزب الملكيين المؤتلفين ، حزب النظام ، حزب البرجوازية الكبيرة ، من جهة اخرى . ان بونابرت قام ، فور توليه رئاسة الجمهورية ، بتشكيل وزارة من حزب النظام وضع على رأسها اوديلون بارو الزعيم القديـــم ، — ولنلاحظ هذا ، — للكتلة الاكثر ليبيرالية من البرجوازية البرلمانية . لقد امسك المسيو بارو اخيراً بحقيبة وزارية كان شبحها يملأ عليه خياله منذ عام ١٨٣٠ ، فضلا عن انها حقيبة رئيس الوزراء بيد انه توصل الى هذا على غير ما كان يحلم به في عهد لويس فيليب ، لا بصفته الزعيم الاكثر تقدما للمعارضة البرلمانية بل كحليف لجميع خصومه الالداء ، اليسوعيين والشرعيين فضلا عن ان مهمته هي اعدام البرلمان لقد جنب اخيراً العروس الى الكنيسة ولكن بعد ان تم انتهاك بكارتها . وبدا كأن بونابرت قد طمس نفسه تماما فان حزب النظام كان يقوم بالعمل نيابة عنه .

وفي الاجتماع الاول بالذات لمجلس الوزراء تقرر توجيه الحملة العسكرية على روما وتم الاتفاق على ان يجري القيام بهذه الحملة من وراء ظهر الجمعية الوطنية وعلى ان تنتزع الاموال اللازمة لهـا من الجمعية الوطنية بذريعة كـاذبة . وهكذا بدات الوزارة نشاطها بغش الجمعية الوطنية وبالتـآمر سراً مع الدول المستبدة في الخارج ضد الجمهورية الرومانية الثورية . وبالطريقة ذاتها وبالمناورات ذاتها اعد بونابرت انقلابه في الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ضد الجمعية التشريعية الملكية وجمهوريتهـا الدستورية . وينبغي الا ننسى ان الحزب نفسه الذي شكل وزارة

بونابرت في العشرين من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٤٨ كان يشكل الاكثرية في الجمعية الوطنية التشريعية في ٢ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ .

وفي شهر آب (اغسطس) قررت الجمعية التاسيسية الا تحل نفسها الا بعد الفراغ من وضع واصدار سلسلة كاملة من القوانين العضوية لاستكمال الدستور . وفي السادس من كانون الثاني (يناير) ١٨٤٩ ، جعل حزب النظام نائبا يدعى راتو يقترح أن تدع الجمعية هذه القوانين العضوية وشانها وان تتخذ بالاحرى قراراً بشأن حلها من تلقاء ذاتها . وليست الوزارة وحدها ، وعلى رأسها المسيو اوديلون بارو ، بله جميع النواب الملكيين في الجمعية الوطنية كانوا يرددون لها بلهجة الوعيد حينئذ بان حلها كان ضروريا لاعادة الثقة وتوطيد دعائم النظام ولوضع حد للوضع المؤقت غير المحدد ولايجاد حالة من الاستقرار النهائي ، كما كانوا يرددون ان الجمعية تعرقل قيام الحكومة الجديدة بالنشاط المثمر وانها لا تريد اطالة بقائها الا بدافع العناد الشرير فحسب وان البلاد قد تعبت منها . واخذ بونابرت علما بكل هذه الحملات على السلطة التشريعية وحفظها عن ظهر قلب واثبت للملكيين البرلمانيين في الثاني من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ ، انه قد تعلم منهم بعض الشيء . فقد وجه شعاراتهم نفسها ضدهم .

ولم تقف وزارة بارو وحزب النظام عند هذا الحد . فقد استكتبوا عرائض الى الجمعية الوطنية في جميع انحاء فرنسا تطالبها بادب بان تشد الرحال . وهكذا قادوا الجماهير الشعبية غير المنظمة الى ميدان المعركة ضد الجمعية الوطنية ، وهي التعبير لدستوري التنظيم عن ارادة الشعب . لقد علموا بونابرت ان يلجأ الى الشعب ضد الجمعيات البرلمانية . واخيراً ، في ٢٩ كانون

الثاني (يناير) ١٨٤٩ ، حان اليوم الذي كان يترتب فيه على الجمعية التاسيسية ان تبت في امر حل نفسها . في هذا اليوم وجدت الجمعية التاسيسية البناية التي تعقد فيها جلساتها محتلة من قبل وحدات الجيش ، وهمد شانغارنييه ، جنرال حزب النظام ، الذي اجتمعت في يديه القيمادة العليا للحرس الوطني والجيش النظامي ، الى اقامة عرض عسكري كبير في باريس كما لو ان معركة حربية كانت على الابواب ، واعلن الملكيون المؤتلفون للجمعية التاسيسية بلهجة التهديد والوعيد ان القوة ستستخدم لو ثبت انها غير موافقة . ولكنها ابدت موافقتها ، الا انها حصلت على المهلة القصيرة للغاية التي ساومت عليها وماذا كان التاسع والعشرون من كانون الثاني (يناير) غير coup d'état * الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ قام بتنفيذه الملكيون بالتحالف مع بونابرت ضد الجمعية الوطنية الجمهورية ؟ ان السادة الملكيين لم يلاحظوا ، او لم يشاؤوا ان يلاحظوا ، ان بونابرت استغل احداث اليوم التاسع والعشرين من كانون الثاني (يناير) ١٨٤٩ لكي يجعل قسماً من الجيش يمر امامه قبالة قصر التويلري ، وانه اختتم بشراهة هذا الاستدعاء العلني الاول بالذات للقوة العسكرية ضد القوة البرلمانية لكي يلمح لهم الى كاليغولا (٧٤) . وبديهي انهم لم يروا سوى رجلهم شانغارنييه .

ان احد الدوافع التي كانت تحفز حزب النظام بشكل خاص على تقصير اجل الجمعية التاسيسية بالقوة كان يكمن في القوانين العضوية المستكملة للدستور ، كقانون التعليم وقانون ممارسة الشعائر الدينية الخ .. لقد كان المهم للغاية بالنسبة للملكيين

---

* انقلاب . الناشر .

المؤتلفين ان يقوموا هم انفسهم بسن هذه القوانين والا يدعوا الجمهوريين الذين غدوا متشككين يسنونها بيد انه كان هنالك ايضا بين هذه القوانين العضوية قانون حول مسؤولية رئيس الجمهورية . وفي سنة ١٨٥١ كانت الجمعية التشريعية منهمكة في صياغة قانون كهذا القانون بالضبط ، عندما عاجل بونابرت هذه coup ، coup • الثاني من كانون الاول (ديسمبر) . والملكيون المؤتلفون كانوا مستعدين لاعطـــاء كل شيء في اثناء حملتهم البرلمانية الشتوية سنة ١٨٥١ ليجدوا قانون مسؤولية رئيس الجمهورية جاهزاً بين ايديهم ، حتى ولو صاغته جمعية الجمهوريين المعادية والمتشككة !

بعد ان حطمت الجمعية التاسيسية بنفسها آخر سلاح لها في التاسع والعشرين من كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٩ قامت وزارة بارو واصدقاء النظام بمطاردتها بلا هوادة . انهم لم يضيعوا فرصة واحدة لاذلالها وانتزعوا من الجمعية العاجزة واليائسة من نفسها قوانين كلفتها آخر بقية من احترام كانت لها في عيون المجتمـــع . وكان لدى بونابرت ، الذي كانت تشغلـه فكرتـه النابوليونية الثابتة ، ما يكفي من الصفاقة لاستغلال هذا الحط من شان السلطة البرلمانية على ملأ من الناس فعندما اتخذت الجمعية الوطنية ، في الثامن من ايار (مايو) ١٨٤٩ ، قراراً بلوم الوزارة بسبب احتلال تشيفيتا-فيكيا من قبل الجنرال اودينو وامرتها بارجاع الحملة الرومانية الى غرضها المرسوم (٧٥) نشر بونابرت في ذلك المساء نفسه في "Moniteur" (٧٦) رسالة الى اودينو هنأه فيها على مآثره البطولية واظهر نفسه ، على نقيض

• ضربة ، عمل حاسم . الناشر .

البرلمانيين اهل القلم ، بمظهر الحامي الشهم للجيش وقابل الملكيون ذلك بالابتسام اذ كانوا على يقين بانه مجرد مغفل في ايديهم . واخيراً وعندما ظن ماراست ، رئيس الجمعية التاسيسية ، للحظة ان سلامة الجمعية الوطنية في خطر وقام ، استناداً الى الدستور ، باستدعاء احد العقداء وفوجه ، رفض العقيد ذلك مستنداً الى الانضباط واحال ماراست على شانفارنييه الذي رفض الطلب مشيراً بسخرية الى انه لا يحب baïonnettes,,* intelligentes" وعندما استعد الملكيون المؤتلفون في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥١ لان يبدأوا صراعهم الحاسم ضد بونابرت ، حاولوا ، عن طريق مشروع قانونهم السيئ الذكر المعروف باسم **مشروع قانون الكويستـــور** (٧٧) ، اقرار مبدأ استدعاء وحدات الجيش من قبل رئيس الجمعية الوطنية مباشرة . وقد وقع احد جنرالاتهم المدعو ليفلو على مشروع القانون . ولكن عبثاً اقترع شانفارنييه الى جانبه واطرى تيير الحكمة البعيدة النظر التي كانت تتمتع بها المرحومة الجمعية التاسيسية . لقد اجابه **وزير الحربية سانـارنو** بمثل ما اجاب شانفارنييه ماراست وذلك وسط تصفيق «الجبل» !

وهكذا فان **حزب النظام** ، عندما لم يكن بعد سوى الوزارة ، لا الجمعية الوطنية ، قام بنفسه بتلطيخ سمعة **الحكم البرلماني** . وهو يرفع عقيرته صائحاً عندما طرد انقلاب اليوم الثاني من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ هذا الحكم من فرنسا !

اننا لنتمنى له سفراً ميموناً !

---

* الحراب المفكرة . الناشر .

٣

في ٢٨ ايار (مايو) سنة ١٨٤٩ انعقدت الجمعية الوطنية التشريعية وفي ٢ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ حلت وهذه الفترة تشمل عمر **الجمهورية الدستورية او البرلمانية** .

في الثورة الفرنسية الاولى تعاقب **الدستوريون فالجيروندیون فاليعاقبة** (٧٨) على الحكم وكان كل حزب من هذه الاحزاب يعتمد على الحزب الاكثر منه تقدمية وحالما كان كل حزب يوصل الثورة الى مدى لا يستطيع بعده ان يسايرها ، بله ان يتزعمها ، كان يُطرح جانبا من قبل الحليف الاجرأ الذي يقف وراءه ويُرسل الى المقصلة . وهكذا كانت الثورة تسير في خط صاعد

عكس ذلك حدث في ثورة سنة ١٨٤٨ فان الحزب البروليتاري يبدو فيها كتابع للحزب الديموقراطي البرجوازي الصغير . وقد خانه هذا الحزب الاخير وساعد على اسقاطه في السادس عشر من نيسان (ابريل) (٧٩) وفي الخامس عشر من ايار (مايو) وفي ايام حزيران (يونيو) . والحزب الديموقراطي كان يستند بدوره الى اكتاف الحزب الجمهوري البرجوازي ولكن مـــا ان ظن الجمهوريون البرجوازيون ان الامور قد استقرت لهـــم حتى نفضوا عنهم رفيقهم المزعج واستندوا الى اكتاف حزب النظام غير ان حزب النظام هز بكتفيه وترك الجمهوريين البرجوازيين يسقطون وسارع الى القاء نفسه على اكتاف القوة المسلحـــة وتوهم هذا الحزب انه كان ما يزال يجلس على اكتافها عندما رأى هذه الاكتاف ذات صباح جميل وقد استحالت الى حراب كان كل حزب يركل الحزب الذي يدفعه من الوراء ، وكان في الوقت نفسه يدفع ظهر الحزب الذي امامه والذي يدفع به الى

الوراء . فلا عجب ان يفقد توازنه وهو في هذا الوضع المضحك وان يهوي بتقطيبات الوجه التي لا بد منها وهو ينط نطات غريبة . وهكذا كانت الثورة تسير في خط نازل . وقد وجدت نفسها في هذه الحال من الحركة التقهقرية قبل ان يزول آخر متراس من متاريس شباط (فبراير) وتتشكل اول سلطة ثورية

ان الفترة التي نحن بصددها تضم خليطاً من المتناقضات الصارخة مبرقشاً الى اقصى حد دستوريون يتآمرون علناً ضد الدستور ؛ ثوريون يعترفون بصراحة بانهم انصار الاعمال في اطار الدستور ؛ جمعية وطنية تريد ان تكون كلية القدرة ، وتظل دائماً برلمانية ؛ حزب «الجبل» الذي يجد دعوته في الصبر والذي يعوض عن هزائمه الحالية بالتنبؤ بانتصارات مقبلة ؛ ملكيون في دور patres conscripti* الجمهورية ومرغمون بحكم الظروف على ان يبقوا خارج البلاد البيوت المالكة المتعادية التي يشايعونها وعلى ان يدعموا في فرنسا الجمهورية التي يكرهونها ؛ سلطة تنفيذية تجد قوتها في ضعفها ذاته ومكانتها في الاحتقار الذي تثيره في النفوس ؛ الجمهورية ليست سوى الجمع بين القذر جوانب ملكيتين عهد العودة وملكية تموز (يوليو) وعليه لافتة امبراطورية ؛ احلاف تقوم على الانفصال ؛ كفاحات قانونها الاساسي عدم السير بها الى النهاية ؛ تهييج طائش اجوف باسم السكينة ؛ اوكد انواع التبشير بالسكينة باسم الثورة ؛ عاطفة بلا صدق وصدق بلا عاطفة ؛ ابطال بلا بطولات وتاريخ بلا احداث ؛ تطور يبدو ان القوة الدافعة الوحيدة له هي التقويم الزمني ، تطور مرهق بسبب من دوام تكرار ذات

---

* الشيوخ . الناشر .

النهضات والسقطات ؛ معاكسات يبدو كانها لا تتازم دوريا حتى تبلغ الاوج الا لتفقد حدتها بعد ذلك ولتسقط دون ان تستطيع الوصول الى حل ؛ جهود تعرض بمباهاة وادعاء ورعب تافه من خطر نهاية العالم الزاحفة في وقت ينصرف فيه مخلّصو العالم الى احقر المكائد والى مهازل البلاط فلا يذكروننـــا ، بسبب من لامبالاتهم ، بيوم الحساب بقدر ما يذكروننا بايام الفروند (٨٠) ؛ كل العبقرية الرسمية لفرنسا كلها تغدو صفراً امام الحماقة الماكرة لفرد واحد ؛ الارادة الجماعية للامة ، كلما تفصح عن ذاتها عن طريق الاقتراع الشامل ، تبحث عن التعبير الملائم عن نفسها في الاعداء الالداء لمصالح الجماهير حتى تجده آخر الامر في ارادة قرصان واحد . ولو ان حقبة من التاريخ طليت بلون رمادي على رمادي لكانت هي هذه الحقبة بالضبط ان الناس والاحداث يظهرون كشليملات معكوسة ، كظلال فقدت اجسامها فالثورة نفسها تشل اولئك الذين يحملـــون اعباءهـــا وتمنح خصومها وحدهم قوة العنف الفائرة . وعندما يظهر اخيراً «الشبح الاحمر» ، الذي يستحضره دعاة الثورة المعاكسة ويطردونـــه باستمرار ، فهو لا يظهر والقبعة الفريجية الفوضوية (٨١) فوق راسه بل يظهر في بزة النظام ، في سراويل حمراء

لقد راينا ان الوزارة التي نصّبها بونابرت في العشرين من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ ، يوم اعتلائه سدة الرئاسة ، كانت وزارة من حـــزب النظـــام ، وزارة الائتلاف الشرعـــي والاورليانى وقد عاشت وزارة بارو ــ فالو هذه بعد زوال الجمعية التاسيسية الجمهورية التي قصرت الوزارة اجلها بالعنف قل او كثر ، ووجدت نفسها ما تزال تقبض على زمام السلطة . وقد ظل شانغارنييه ، جنرال الملكيين المؤتلفين ، يجمع في

شخصه القيادة العليا لفرقة الجيش الاولى وللحرس الوطني في باريس واخيراً امنت الانتخابات العامة لحزب النظام اغلبية ضخمة في الجمعية التشريعية . وقد واجه نواب لويس فيليب ونبلاؤه هنا جيشا مقدسا من الشرعيين تحولت بطاقات الاقتراع العام الكثيرة بالنسبة لهم الى بطاقات لدخول المسرح السياسي اما النواب البونابرتيون فقد كانوا من ضآلة العدد بحيث تعذر عليهم ان يشكلوا حزبا برلمانيـــا مستقلا فظهروا بمظهـــر mauvaise queue* لحزب النظام وهكذا استولى حزب النظام على السلطة الحكومية وعلى الجيش والهيئة التشريعية ، وبكلمة ، على سلطة الدولة بكاملها التي تعززت معنويا بالانتخابات العامة التي جعلت سيطرة حزب النظام تظهر كانها تعبير عن ارادة الشعب وبالانتصار الذي احرزته الثورة المضـــادة في الوقت ذاتـــه في القارة الاوروبية باكملها

لم يسبق ان افتتح حزب من الاحزاب حملته وهو يتمتع بموارد اضخم او يحظى بطالع ايمن .

اما **الجمهوريون الصرف** الذين تحطمت بهم السفينة ، فلـــم يبقوا في الجمعية الوطنية التشريعية الا زمرة مؤلفة من حوالي خمسين رجلا وعلى راسها الجنرالات الافريقيـــون كافينيـــاك ولاموريسيير، وبيدو بيد ان حزب المعارضة الكبير كان يتالف من «**الجبل**» ، وهذا اسم برلمـــاني اطلقـــه الحزب **الاشتراكي-الديموقراطي** على نفسه وقد كان له في الجمعية الوطنية ما ينيّف على مائتي صوت من ٧٥٠ صوتا ولهذا فقد كان له من القوة ما يعدل على الاقل قوة اية كتلة من الكتل الثلاث التي

---

* الذيل الحقير . الناشر .

تؤلف حزب النظام لو اخذت على انفراد . اما الاقليته العدديته النسبية ، بالمقارنة مع الائتلاف الملكي باكمله ، فقد كان يبدو ان ظروفا خاصة عوضت عنها . فالانتخابات التي جرت في المقاطعات لم تبين انه كسب اتباعا كثيرين بين سكان الارياف فحسب بل كان يعد في صفوفه جميع نواب باريس تقريبا وقد كشف الجيش عقائده الديموقراطية بانتخابه ثلاثة من ضباط الصف ، كما ان زعيم «الجبل» ، ليدرو-رولان ، على نقيض ممثلي حزب النظام جميعا ، رفعته الى شرف عضوية البرلمان خمس مقاطعات اجمعت على تقديم اصواتها له ونظراً للاصطدامات التي كان لا مناص من وقوعها فيما بين الملكيين انفسهم ، وبين حزب النظام بكامله وبين بونابرت ، فقد كان يبدو ان كل عناصر النجاح كانت بذلك متوفرة لحزب «الجبل» في الثامن والعشرين من ايار (مايو) سنة ١٨٤٩ ولكنه بعد اسبوعين كان قد فقد كل شيء ، بما في ذلك الشرف .

وقبل ان نواصل تتبعنا للتاريخ البرلماني لا بد ان نبدي بعض الملاحظات لتفادي الاخطاء الشائعة لدى تقدير الطابع العام لهذه الحقبة التي امامنا اذا نظرنا الى فترة الجمعية الوطنية التشريعية بعيون الديموقراطيين فسنجد ان ما عنيت به هذه الفترة هو نفس ما عنيت به فترة الجمعية التاسيسية الصراع البسيط بين الجمهوريين والملكيين اما الحركة نفسها فهم يلخصونها في كلمة واحدة هي «الرجعية» ، اي الليل اذ تبدو القطط كلها فيه رمادية ، ويسمح للديموقراطيين بان يكرروا على الاسماع بلا عائق العبارات السطحية المعهودة التي يرددها الحارس الليلي والحق ان حزب النظام يبدو لنا ، لاول وهلة ، عبارة عن متاهة محيرة من التكتلات الملكية المختلفة التي لا

تتآمر احداها ضد الاخرى فحسب – لكي تجلس على العرش من تؤيده من المدعين به وتقصي عنه المدعي الذي تؤيده الكتلة المعارضة – بل هي كلها قد جمعتها ايضا الكراهية المشتركة «للجمهورية» والنضال المشترك ضدها وعلى النقيض من هؤلاء المتآمرين الملكيين يظهر «الجبل» من جهته كمدافع عن «الجمهورية» ان حزب النظام يبدو منهمكا على الدوام في حملة «رجعية» موجهة ضد الصحافة والجمعيات وما شاكل ذلك بصورة لا تزيد ولا تقل عما هو حاصل في بروسيا ، ويتم تنفيذها ، كما هو في بروسيا ايضا ، في شكل تدخل بوليسي وحشي من جانب البيروقراطية والدرك والمحاكم و«الجبل» من جهته منهمك ايضا ، كانهماك حزب النظام تماما ، بصورة متواصلة في صد هذه الهجمات والدفاع عن «حقوق الانسان السرمدية» كما فعل ، الى هذا الحد او ذاك ، خلال فترة القرن ونصف القرن الاخيرة ، كل حزب من هذه الاحزاب التي تسمى احزاب الشعب . ولكن اذا حلل المرء الوضع والاحزاب بمزيد من الامعان ، لاختفى هذا المظهر السطحي الذي يحجب الصراع الطبقي والسيماء المميزة لهذه الفترة

ان الشرعيين والاورليانيين كانوا يشكلون ، كما قلنا ، الكتلتين الكبيرتين اللتين تالف منهما حزب النظام ترى ، الم يكن ما شد كلا من هاتين الكتلتين الى المدعي بالعرش الذي تريده وما فصل هاتين الكتلتين الواحدة عن الاخرى سوى الونبقة (٨٢) ، والعلم المثلث الالوان ، سوى آل بوربون وآل اورليان اوالانواع المختلفة من النزعة الملكية ؟ هل كانت المسالة كلها مسالة اعتقاد بالملكية ؟ ان الملكية العقارية الكبيرة هي التي كانت تحكم في عهد اسرة بوربون ، مع كهانها وخدمها ، بينما

كان سلطان **رأس المال** – اي الصناعة الكبيرة ، والتجارة الكبيرة وارستقراطية المال – وحاشيته المؤلفة من المحامين والاساتذة والخطباء المداهنين هو الذي يحكم في عهد آل اورليان . ان المَلَكية الشرعية لم تكن الا التعبير السياسي عن الحكم الوراثي لمالكي الارض ، كما ان مَلَكية تموز (يوليو) لم تكن الا التعبير السياسي عن الحكم الذي اغتصبه حديثو النعمة البرجوازيون . ان ما فصل هاتين الكتلتين الواحدة عن الاخرى لم يكن لهذا السبب ما يسمى بالمبادئ بل كان شروط البقاء المادية لكل منهما ، كان نوعين مختلفين من المُلْكية ، كان التناقض القديم بين المدينة والريف ، المنافسة بين رأس المال والمُلْكية العقارية . اما ان الذكريات القديمة والخصومات الشخصية ، والمخاوف والآمال ، والخرافات والاوهام ، ومشاعر العطف والكراهية ، والمعتقدات ورموز الايمان ، والمبادئ ، قد ربطتهم في الوقت نفسه ايضا الى هذا البيت المالك او ذاك فمن ذا الذي ينكر هذا ؟ ففوق الاشكال المختلفة للمُلْكية ، فوق شروط البقاء الاجتماعية ، ينهض بناء فوقي كامل من المشاعر والاوهام وانماط التفكير ووجهات النظر الى العالم ، المتميزة بعضها عن بعض والمشكلة تشكيلا خاصا . ان الطبقة بأسرها تخلقها وتكونها على اساس شروطها المادية وعلى اساس العلاقات الاجتماعية التي تقابلها . وقد يتصور الشخص الفرد الذي يستمد هذه المشاعر والآراء تقليديا من العرف والتربية انها هي التي تشكل البواعث الحقيقية ونقطة البدء في تصرفه . فبينما كان الاورليانيون والشرعيون ، بينما كانت كل كتلة تسعى لتجعل نفسها وتجعل الكتلة الاخرى تعتقد ان ما كان يفصلهما انما هو الولاء لبيتيهما المالكين ، اثبتت الحقائق فيما بعد ان تضاد مصالحهما هو الذي

كان يحول بالاحرى دون توحيد البيتين المالكين . وكما ان المرء يفرق في الحياة العادية بين ما يحمله الانسان من رأي وما يقوله عن نفسه وبين ما هو عليه في الواقع وما يفعله ، هكذا ايضا في الصراعات التاريخية لا بد للمرء بالاحرى ان يميز بين اقوال الاحزاب وتخيلاتها وبين طبيعتها الحقيقية ومصالحها الحقيقية ، بين فكرتها عن نفسها وبين حقيقتها لقد وجد الاورليانيون والشرعيون انفسهم جنبا الى جنب في الجمهورية ولهم ادعاءات متساوية . واذا كان كل جانب يسعى الى **اعادة بيته المالك** ضد الجانب الآخر فهذا لا يعني سوى ان كلا من **الكتلتين الكبيرتين** التي انقسمت اليهما **البرجوازية** – الملكية العقارية والرأسمال المالي – كانت تسعى الى اعادة سيادتها واخضاع الاخرى لها ونحن نتحدث عن كتلتين اثنتين للبرجوازية لان الملكية العقارية الكبيرة ، على الرغم من دلّها الاقطاعي ومن فخرها بحسبها ونسبها ، قد غدت برجوازية تماما بفعل تطور المجتمع الحديث . وهكذا تصور التوريون (٨٣) في انجلترا مدة طويلة انهم كانوا متحمسين للسلطة الملكية والكنيسة ومواطن الجمال في الدستور الانجليزي القديم حتى جاء يوم الخطر فانتزع منهم الاعتراف بانهم متحمسون **للريع العقاري** وحده

ان الملكيين المؤتلفين كانوا يكيدون بعضهم لبعض في الصحف ، وفي ايمز وفي كليرمونت (٨٤) ، خارج البرلمان . ووراء الكواليس كانوا يرتدون من جديد حللهم الاورليانية والشرعية القديمة وينهمكون من جديد في مبارزتهم القديمة اما على المسرح العام فقد كانوا ، في تمثيلياتهم وبصفتهم حزبا برلمانيا كبيراً ، يكتفون بانحناءات الاحترام امام البيتين المالكين ويؤجلون

اعادة الملكية in infinitum* وكانوا يؤدون شغلهم الحقيقي بوصفهم حزب النظام ، اي في صفة اجتماعية لا صفة سياسية ، بوصفهم ممثلي النظام البرجوازي العالمي ، لا فرسانا لأميرات جوّالات ، بوصفهم الطبقة البرجوازية ضد سائر الطبقات ، لا ملكيين ضد جمهوريين . وبوصفهم حزب النظام كانوا يمارسون سلطانا اقل تقييداً واشد وطأة على الطبقات الاخرى في المجتمع من اي سلطان مارسوه في وقت من الاوقات في عهد العودة او عهد ملكية تموز (يوليو) ، سلطانا لم يكن ممكنا بصورة عامة الا في ظل شكل الجمهورية البرلمانية لانه لا يمكن ، الا في ظل هذا الشكل ، للكتلتين الكبيرتين من البرجوازية الفرنسية ان تتحدا وان تدرجا بذلك في جدول الاعمال حكم طبقتهما لا حكم كتلة ذات امتياز منها واذا كانوا ، برغم ذلك ، بوصفهم حزب النظام ، قد اهانوا الجمهورية ايضاً واعربوا عن نفورهم منها فان هذا لم يكن يحدث بسبب الذكريات الملكية فحسب فان الغريزة لوحت لهم ان الجمهورية هي ذروة حكمهم السياسي ، بيد انها تقوض في الوقت نفسه اساسه الاجتماعي لانه كان عليهم ان يواجهوا الآن الطبقات المقهورة ويتنازعوا معها مباشرة ، بدون التغطية التي هي التاج ، بدون صرف اهتمام الامة بالصراعات الثانوية التي تدور بينهم ومع الحكم الملكي . ان الشعور بالضعف هو الذي دعاهم الى النكوص عن الشروط الخالصة لحكم طبقتهم ذاتها والى الحنين الى الاشكال السابقة لهذا الحكم ، الاشكال الاقل كمالا ، والاقل تطوراً ، ولهذا السبب بالذات الاقل خطراً بالعكس ، كلما كان الملكيون المؤتلفون يصطدمون بالمدعي

---

* الى ما لا نهاية له . الناشر .

بالعرش المعادي لهم ، اي ببونابرت ، وكلما كانوا يعتقدون ان سلطانهم البرلماني الكلي في خطر من السلطة التنفيذية ، وكلما كان يترتب عليهم بالتالي وبالدرجة الاولى ان يثبتوا صفتهم السياسية التي تعطيهم الحق في حكمهم ، كانوا يطلعون على الناس **كجمهوريين لا ملكيين** ، ابتداء من تيير الاورليانى الذي أكد للجمعية الوطنية ان مسالة الجمهورية تفرقهم الى اقل مدى ممكن ، وانتهاء ببربيه الشرعي الذي وقف ، في الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ ، وبصفته مخاطبا عن الامة مقمطا بوشاح مثلث الالوان يجلجل باسم الجمهورية في الناس المحتشدين امام دار بلدية الدائرة العاشرة صحيح ان صدى ساخراً كان يجاوبه قائلا : Henri V ! Henri V !*

وفي مواجهة الائتلاف البرجوازي ، قام ائتلاف بين البرجوازيين **الصغار والعمال** ، وهو ما يدعى بالحزب **الاشتراكي الديموقراطي** . فالبرجوازيون الصغار رأوا انهم كوفئوا مكافاة سيئة بعد ايام حزيران (يونيو) ١٨٤٨ وان مصالحهم المادية قد منيت بالخسائر وان الضمانات الديموقراطية التي كان عليها ان تؤمن لهم امكانية الدفاع عن هذه المصالح قد وضعتها الثورة المعاكسة موضع تساؤل وبناء على ذلك ، تقربوا من العمال ومن جهة اخرى ، عاد ممثلهم البرلماني ، «الجبل» الذي طرح جانبا اثناء ديكتاتورية الجمهوريين البرجوازيين ، وظفر من جديد ، في النصف الاخير من حياة الجمعية التاسيسية ، بشعبيته السابقة وذلك بفضل الصراع ضد بونابرت والوزراء الملكيين . وقد عقد «الجبل» حلفا مع الزعماء الاشتراكيين . وفي شهر شباط (فبراير) ١٨٤٩ اقيمت الولائم احتفالا بالمصالحة ووضع المتحالفون

---

* هنري الخامس ! هنري الخامس ! الناشر .

برنامجا مشتركا وشكلوا لجانا انتخابية مشتركة وقدموا مرشحين مشتركين وقد جُرّدت المطالب الاجتماعية للبروليتاريا من الحدة الثورية وصُبغت بصبغة ديموقراطية ، بينا جُرّدت المطالب الديموقراطية للبرجوازية الصغيرة من الشكل السياسي البحت السابق وصُبغت بصبغة اشتراكية . وهكذا نشا الحزب **الاشتراكي-الديموقراطي** . اما «**الجبل**» الجديد ، وهو نتيجة هذه المساومة ، فقد كان يضم ، بصرف النظر عن بعض الافراد التافهين من الطبقة العاملة وبعض من المنعزلين الاشتراكيين ، نفس العناصر التي كان يضمها حزب «الجبل» القديم ، والفرق الوحيد ان عدد هذه العناصر كان اكثر بيد انه قد تغير في مجرى التطور ، مع تغير الطبقة التي كان يمثلها ان الطابع المميز للحزب الاشتراكي-الديموقراطي يتجلى في كونه يطالب بالمؤسسات الجمهورية الديموقراطية كوسيلة لا لازالة نقيضين هما : رأس المال والعمل المأجور بل لاضعاف تناحرهما وتحويله الى انسجام ومهما اختلفت الوسائل المقترحة لبلوغ هذه الغاية ومهما كانت التصورات التي تزدان بها ثورية الى هذا الحد او ذاك ، فان المغزى يبقى واحداً ، الا وهو تحويل المجتمع بطريقة ديموقراطية ولكنه تحويل ضمن حدود البرجوازية الصغيرة غير انه لا يجوز للمرء ان يكوّن فكرة ضيقة الافق تزعم أنّ البرجوازية الصغيرة ترغب ، من حيث المبدأ ، في تحقيق مصلحتها الطبقية الانانية . انها تعتقد بالعكس ان الشروط **الخاصة** لانعتاقها هي في الوقت ذاته الشروط **العامة** التي لا يمكن انقاذ المجتمع العصري وتفادي النضال الطبقي فيه الا ضمن نطاقها كذلك لا يجوز للمرء ان يتصور ان ممثلي الديموقراطية هم جميعا بالفعل من اصحاب الحوانيت او مدافعون متحمسون عن اصحاب الحوانيت . فانهم بحسب تعليمهم ووضعهم

الفردي قد يكونون بعيدين عن ذلك بعد السماء عن الارض ان ما يجعلهم ممثلين للبرجوازية الصغيرة هو انهم عاجزون عن ان يتعدوا في تفكيرهم النطاق الذي لا تتعداه حيـــاة البرجوازيين الصغار ، وانهم يتوصلون بالتالي ، نظريا ، الى القضايا والحلول ذاتها التي تساق البرجوازية الصغيرة اليها عمليا بدافع مصلحتها المادية ووضعها الاجتماعي هذه ، بصورة عامة ، هي العلاقة بين **الممثلين السياسيين والفكريين** لطبقة من الطبقات وبين الطبقة التي يمثلونها

بعد التحليل الذي قدمناه يكون من الواضح ان «الجبل» ، اذ يناضل بصورة متواصلة ضد حزب النظام من اجل الجمهورية وما يسمى بحقوق الانسان ، فلا تكون الجمهورية ولا حقوق الانسان هدفه النهائي شأنه في ذلك شأن جيش يريدون ان يجردوه من سلاحه فيقاوم ويخوض المعركة لا من اجل الاحتفاظ بسلاحه وحسب .

على اثر انعقاد الجمعية الوطنية مباشرة عمد حزب النظام الى استفزاز «الجبل» لقد شعرت البرجوازية الآن بضرورة القضاء على البرجوازية الصغيرة الديموقراطية تماما مثلما ادركت قبل عام ضرورة القضـاء على البروليتاريـا الثورية . ولكن وضعية الخصم كانت تختلف هذه المرة فقوة الحزب البروليتاري كانت في الشوارع بينما كانت قوة البرجوازيين الصغار في الجمعية الوطنية نفسها . فالقضية اذن كانت قضية استدراجهم من الجمعية الوطنية الى الشوارع وجعلهم يحطمون بانفسهم قوتهم البرلمانية ، قبل ان يتسنى توطيدها بفعل الزمن والظروف . واندفع «الجبل» الى الشرك على غير هدى .

ان قصف روما بالمدفعية من قبل القوات الفرنسية كان الطعم

الذي أُلقي به اليه . لقد كان هذا يشكل خرقا للمادة الخامسة من الدستور التي تحظر على الجمهورية الفرنسية استخدام قواتها العسكرية ضد حرية شعب آخر . وفضلا عن ذلك تحظر المادة الرابعة والخمسون على السلطة التنفيذية اعلان الحرب دون موافقة الجمعية الوطنية ، كما ان الجمعية التاسيسية كانت قد شجبت الحملة الرومانية ، في قرارها الذي اتخذته في الثامن من ايار (مايو) . وبناء على هذا ، قدم ليدرو-رولان للجمعية لائحة اتهام ضد بونابرت ووزرائه في اليوم الحادي عشر من حزيران (يونيو) ١٨٤٩ . واذ احفظت ليدرو-رولان قوارص الكلام التي كان يطلقها تيير ، فقد سمح لنفسه ان ينجرف الى درجة التهديد بانه سوف يدافع عن الدستور بكل الوسائل وحتى بقوة السلاح . وقام اعضاء «الجبل» قومة رجل واحد وكرروا هذه الدعوة الى السلاح . وفي اليوم الثاني عشر من حزيران (يونيو) رفضت الجمعية الوطنية لائحة الاتهام وترك «الجبل» البرلمان . اما حوادث الثالث عشر من حزيران (يونيو) فمعروفة : البيان الذي اصدره فريق من «الجبل» والذي اعلن فيه بونابرت ووزراءه «خارجين على الدستور»؛ الموكب الذي نظمه في الشوارع افراد الحرس الوطني الديموقراطيون الذين تشتتوا ، وهم غير المسلحين ، عند التقائهم بقوات شانغارنييه ، الخ .، الخ .. وقد فر قسم من «الجبل» الى الخارج ، وقُدّم قسم آخر الى المحاكمة امام المحكمة العليا في بورجيه ، بينما أخضع الباقون ، كالتلامذة ، وفقا للنظام البرلماني ، لرقابة حقيرة يمارسها رئيس الجمعية الوطنية . واعلنت حالة الحصار في باريس مرة اخرى وحل الجزء الديموقراطي من الحرس الوطني الباريسي . وهكذا صُفّي نفوذ «الجبل» في البرلمان وقوة البرجوازيين الصغار في باريس

ان مدينة ليون ، حيث اصبحت حوادث اليوم الثالث عشر من حزيران (يونيو) اشارة لانتفاضة دموية قام بها العمال ، قد اعلنت فيها كذلك هي وخمس مقاطعات مجاورة لها حالة الحصار التي ما تزال سارية المفعول هناك حتى اللحظة الراهنة .

ان الشطر الاعظم من اعضاء «الجبل» قد خانوا طليعتهم اذ رفضوا توقيع البيان الذي اصدرته . كذلك فرت الصحافة من الميدان ، ولم يجرؤ غير صحيفتين على نشر هذا البيان . وخان البرجوازيون الصغار ممثليهم وذلك اما بعدم حضور افراد الحرس الوطني او بعرقلتهم بناء المتاريس حيثما ظهروا . وخدع الممثلون البرجوازيين الصغار اذ لم يظهر اي اثر لحلفائهم المزعومين في الجيش . ثم ان الحزب الديموقراطي اخيراً ، بدلا من ان يكتسب المزيد من القوة من البروليتاريا ، اصابها هو بعدوى ضعفه وكما هو شأن جلائل الاعمال التي يقوم بها الديموقراطيون عادة ، شعر الزعماء بالرضى اذ استطاعوا ان يتهموا «شعبهم» بالخيانة وشعر الشعب بالرضى اذ استطاع ان يتهم الزعماء بالتدجيل عليه .

قلّما أُعلن عن اجراء من الاجراءات بضجيج يفوق ذاك الذي اعلن به عن الحملة التي كان «الجبل» يوشك على القيام بها ، وقلما دوت الابواق بحدث من الاحداث في ثقة اعظم وقبل وقوعه بمدة اطول ، كما جرى ذلك هذه المرة حول الاعلان عن حتمية انتصار الديموقراطية ان الديموقراطيين يؤمنون بلا شك بقوة الابواق التي انهارت امام اصواتها اسوار اريحا (٨٥) وهم يسعون ، كلما وقفوا امام اسوار الاستبداد ، الى تقليد هذه المعجزة . فلو ان «الجبل» اراد ان ينتصر في البرلمان ، لما كان له ان يدعو الى اللجوء الى السلاح ، ولو دعا الى اللجوء الى السلاح في البرلمان لما كان يجوز ان يتصرف تصرفا برلمانيا في الشوارع . ولو كان ينوي

جديـا القيام بمظاهرة سلمية ، لكان من الحمـاقة الظن انهـا لن تستقبل استقبالا حربيا . ولو كان يقصد الكفاح الحقيقي ، لكان من غريب التفكير ان يلقي السلاح الذي به يخاض الكفاح . ولكن التهديدات الثورية التي يطلقهـا البرجوازيون الصغـار وممثلوهم الديموقراطيون هي مجرد محاولات لارهاب الخصم . فعندما يقع هؤلاء في مازق ، عندمـا يكونون قد اوقعوا انفسهم في الشبهـات لدرجة يتحتم عليهم معها ان يضعوا تهديداتهم موضع التنفيذ ، حينذاك يفعلون هذا بطريقة غامضة ولا يتفادون شيئا اكثر من الوسائل اللازمة لبلوغ الغاية ويسعون وراء الذرائع للانهزام فالافتتاحية المدوية التي تعلن بدء الكفاح تغدو همهمة وجلة ما ان يبلغ الامر حد الكفاح بالذات ؛ اذ ذاك يتوقف الممثلون عن اخذ الامور مأخذ الجد وتتوقف التمثيليـة ، وتتلاشى كالفقاعة التي وخزتها ابرة .

ما من حزب يبالغ في تقدير الوسائل المتوفرة لديه اكثر من الحزب الديموقراطي وما من حزب يخدع نفسه عن حقيقة الوضع باستخفاف اكثر منه فبما ان قسما من الجيش اقترع لحزب «الجبل» فقد اصبح هذا الحزب الآن على يقين من ان الجيش سوف يثور من اجله . وفي اية مناسبة ؟ في مناسبة لم يكن لها في نظر الجنود من معنى سوى ان الثوريين انحازوا الى جـانب الجنود الرومانيين ضد الجنود الفرنسيين . ومن ناحية اخرى كانت ذكريات ايام حزيران (يونيو) ١٨٤٨ انضر من ان تسمح باي شيء سوى المقت الشديد من جانب البروليتاريـا تجاه الحرس الوطني والارتياب التام بالقادة الديموقراطيين من جانب قادة الجمعيات السرية . ولكي تتسنى تسوية هذه الخلافات ، كان لا بد من ان تكون هنالك مصالح جدية مشتركة معرضة للخطر . وخرق فقرة مجردة

من فقرات الدستور لا يمكن ان يبعث مثل هذا الاهتمام ألم يخرق الدستور مراراً عديدة ، بحسب تاكيدات الديموقراطيين انفسهم ؟ ألم تصمه اكثر الجرائد شعبية بانه شيء من صنع اعداء الثورة ؟ بيد ان الديموقراطي ، لانه يمثل البرجوازية الصغيرة ، اي **طبقة انتقالية** تتثلم فيها مصالح طبقتين بصورة متبادلة ، يتصور لهذا السبب انه فوق التناحر الطبقي بصورة عامة والديموقراطيون يسلمون بانهم يواجهون طبقة ذات امتيازات ولكنهم هم ، مع سائر فئات الامة ، يشكلون **الشعب** . ان ما يدافعون عنه ، هو ، كما يقولون ، **حقوق الشعب** وما يعبرون عنه ، هو ، كما يقولون ، **مصالح الشعب** . ولذلك ليست بهم من حاجة ، عندما يوشك صراع على النشوب ، لان يتفحصوا مصالح الطبقات المختلفة ومواقفها . وليست بهم من حاجة لان يزنوا وسائلهم نفسها بميزان النقد الدقيق . كل ما عليهم هو ان يعطوا الاشارة وعندها ينقض **الشعب** على **الظالمين** ، بكل ما لديه من وسائل لا تنفد . اما اذا تبين ان مصالحهم لا تهم الآخرين وان قوتهم هي عجز ، فاما ان يكون الذنب حينئذ هـــو ذنب اولئك السفسطائيين المؤذين الذين يشقون صفوف **الشعب غير المنقسم** الى معسكرات متعادية مختلفة واما ان الجيش قد توحش او انعمى لدرجة تعذر عليه معهـــا ان يدرك ان الاهداف الخـــالصة للديموقراطية هي احسن الاشياء بالنسبة له هو نفسه ، واما ان تكون القضية كلها فشلت من جراء خطأ في التفاصيل ارتكب اثناء التنفيذ ، ولما ، اخيرا ، ان تكون صدفة غير متوقعة قد آلت بالقضية الى الفشل في هذه المرة . وعلى اية حال يخرج الديموقراطي من اشد العزائم خزيا طاهر الذيل بقدر ما كان بريئا عندما دخل فيها ، بعد ان يكون قد تعزز اقتناعه بانه لا بد ان ينتصر ، وانه لا ينبغي عليه